

السيرة النبوية [١]

طرفة النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد : أحمد حسن عرابي

منبر
التوجيه والإصلاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

في شبه الجزيرة العربية ، وفي مكة المكرمة حيث تعيش قريش حول الكعبة ولد محمد صلى الله عليه وسلم من أسرة كريمة المعدن ، نبيلة النسب ، جمعت ما في العرب من فضائل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " [مسلم] .

وعاش محمد صلى الله عليه وسلم طفولته يتيماً ، لا يشارك الأطفال - الذين هم في مثل سنه - لهوهم ولعبهم ، بل حفظه الله - عز وجل - ورعاه . وكان صلى الله عليه وسلم منذ طفولته يتمتع بنقاء الفطرة ، ومكارم العادات ، ومحاسن الأخلاق ؛ فكان في طفولته نعم القدوة لكل الأطفال .. صلى الله عليه وسلم .

العرب قبل الإسلام

كان العرب في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يعبدون الأصنام من دون الله ، ويقدمون لها القرابين ، ويسجدون لها ، ويتوسلون بها ، وهي أحجار لا تضر ولا تنفع . وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً .

وكان الناس يطوفون عرايا حول الكعبة ، وقد تجردوا من ملابسهم بلا حياء ، يصفقون ويصفرون ويصيحون بلا نظام ، وقد وصف الله - عز وجل - صلاتهم فقال : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) [الأنفال : ٣٥] .

وكانت الحروب تقوم بينهم لأتفه الأسباب ، وتستمر مشتتة أعواماً طويلة ، فهذان رجلان يقتتلان ، فيجتمع الناس حولهما ، وتناصر كل قبيلة صاحبها ، وتقوم الحرب في لمح البصر ، ولا

تنتهي حتى يموت الرجال . وانتشرت بينهم العادات السيئة مثل : شرب الخمر ، وقطع الطرق ، والزنا . وكانت بعض القبائل تهين المرأة ، وينظرون إليها باحتقار ، فهي في اعتقادهم عار كبير ، عليهم أن يتخلصوا منها ، فكان الرجل منهم إذا ولدت له أنثى ؛ حزن حزناً شديداً . قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل : ٥٨ - ٥٩] .

وقد يصل به الأمر إلى أن يدفنها وهي حية ، وهي العادة التي عرفت عندهم بواد البنات .

وكان الظلم ينتشر في المجتمع ؛ فالقوي لا يرحم الضعيف ، والغني لا يعطف على الفقير ، بل يُسخره لخدمته ، وإن أقرضه مالا ؛ فإنه يقرضه بالربا ، فإذا اقترض الفقير ديناراً ؛ يردده دينارين ، فيزداد فقراً ، ويزداد الغني ثراء .

وكانت القبائل متفرقة ، لكل قبيلة رئيس ، وهم لا يخضعون لقانون منظم .

صفات حميدة

ومع كل هذا الجهل والظلام في ذلك العصر المسمى بالعصر الجاهلي ، كانت هناك بعض الصفات الطيبة والنبيلة ، كإكرام الضيف ، فإذا جاء ضيف على أحدهم بذل له كل ما عنده ، ولم يخجل عليه بشيء ، فهذا هو ذا حاتم الطائي لم يجد ما يطعم به ضيوفه ؛ فذبح فرسه ، - وقد كانوا يأكلون لحم الخيل - ، وأطعمهم قبل أن يأكل هو . وكانوا ينصرون المستغيث فإذا نادى إنسان ، وقال : إني مظلوم . اجتمعوا حوله وردوا إليه حقه .

وقد حدث ذات مرة أن جاء رجل يستغيث ، وينادي بأعلى صوته في زعماء قريش أن ينصروه على العاص ابن وائل الذي اشترى منه بضاعته ، ورفض أن يعطيه ثمنها .

فتجمع زعماء قريش في دار عبد الله بن جدعان ، وتحالفوا على أن ينصروا المظلوم ، ويأخذوا حقه من الظالم ، وسموا ذلك الاتفاق حلف الفضول ، وذهبوا إلى العاص بن وائل ، وأخذوا منه ثمن البضاعة ، وأعطوه لصاحبه .

نسب النبي ﷺ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي يصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - .

حكاية الثريد

كان عمرو بن عبد مناف الجد الأكبر للرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً كريماً ، فقد حدث في عصره أن نزل القحط بالناس ، فلم يجدوا ما يأكلون ، وكادوا يموتون جوعاً ، وبدأ كل إنسان يفكر في نجاة نفسه فقط ، فالذي عنده طعام يحرص عليه ويحجبه عن الناس ، فذهب عمرو إلى بيته وأخرج ما عنده من الطعام ، وأخذ يهشم الثريد (أي : يكسر الخبز في المرق) لقومه ويطعمهم ، فسموه (هاشماً) ؛ لأنه كريم يهشم ثريده للناس جميعاً .

وعندما ضاق الرزق في مكة أراد هاشم أن يخفف عن أهلها ، فسافر إلى الشام صيفاً ، وإلى اليمن شتاء ؛ من أجل التجارة ، فكان أول من علم الناس هاتين الرحلتين . وفي إحدى الرحلات ، وبينما هاشم في طريقه للشام مر بيثرب ، فتزوج سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني التجاء ، وتركها وهي حامل بابنه عبد المطلب لتلد بين أهلها الذين اشترطوا عليه ذلك عند زواجه منها .

حكاية الكنز

كان عبد المطلب جد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يسقي الحجاج الذين يأتون للطواف حول الكعبة ، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام ، فالتف الناس حوله ، فكان زعيمهم وأشرفهم . وكان عبد المطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها ؛ لأنها كانت قد ردمت بمروور السنين ، ولم يُعد أحد يعرف مكانها ، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم ، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه . فبدأ عبد المطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث ، والناس يسخرون منهما ، وبينما هما يحفران ، تفجر الماء من تحت أقدامهما ، والتف الناس حو البئر مسرورين ، وظن عبد المطلب أنهم سيشكرونه ، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر ، فشعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث ، فإذا به يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور ، ونذر أن يذبح أحدهم تقرباً لله .

الأبناء العشرة

استجاب الله دعوة عبد المطلب ، فرزقه عشرة أولاد ، وشعر عبد المطلب بالفرحة ، فقد تحقق رجاؤه ، ورزق بأولاد سيكونون له سنداً وعوناً ، لكن فرحته لم تستمر طويلاً ؛ فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه ، فعليه أن يذبح واحداً من أولاده .

فكر عبد المطلب طويلاً ، ثم ترك الاختيار لله تعالى ، فأجرى قرعة بين أولاده ، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه ، فأصبح عبد المطلب في حيرة : أيذبح ولده الحبيب أم يعصي الله ولا يفني بنذره ؟ فاستشار قومه ، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة ، فأعادها مراراً ، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة ، فازداد قلق عبد المطلب .

فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل ، فيجري القرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل ، ويظل يضاعف عددها ، حتى تستقر القرعة على الإبل بدلا من ولده ، فعمل عبد المطلب بنصيحة

الكاهنة واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير ، وعندئذ وقعت القرعة عليها ، فذبحها فداء لعبد الله . وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله .

زواج عبد الله

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقاً ، وأجملهم منظرًا ، وأراد والده عبد المطلب أن يزوجه ، فاختر له زوجة سالحة ، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة ، وسيدة نساءهم ، وتمر الأيام ، ويخرج عبد الله في تجارة إلى الشام ، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملاً ، ولحكمة يعلمها الله ، مات عبد الله قبل أن يرى وليده .

حكاية الفيل

وذات يوم ، استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفرع والرعب ، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير ، يتقدمه فيل ضخم ، يريد هدم الكعبة ؛ حتى يتحول الحجيج إلى كنيسته التي بناها في اليمن ، وأنفق عليها أموالاً كثيرة .

واقترب الجيش من بيت الله الحرام ، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة ، والتف الناس حول عبد المطلب الذي قال لأبرهة بلسان الوثائق من نصر الله تعالى : " للبيت رب يحميه " . فازداد أبرهة عناداً ، وأصر على هدم الكعبة ، فوجه الفيل الضخم نحوها ، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك ، وأرسل الله طيوراً من السماء تحمل حجارة صغيرة ، لكنها شديدة صلابة ، ألقت بها فوق رعوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم . قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) [سورة الفيل] .

في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من هذا العام ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلاماً جميلاً ، مشرق الوجه .
وخرجت ثوية الأسلمية خادمة أبي لهب - عم النبي صلى الله عليه وسلم - تهرولاً إلى سيدها أبي لهب ، ووجهها ينطق بالسعادة ، وما كادت تصل إليه حتى همست له بالبشرى ، فتهلل وجهه ، وقال لها من فرط سروره : اذهبي فأنت حرة ! وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملاً الوليد الجديد ، ودخل به الكعبة مسروراً ، يشكر الله ويدعوه ، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد .

حكاية المرضعة

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة ، ليأخذن الأطفال الرضع إلى البادية .
وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي ؛ ليعطيها مالاً كثيراً ، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه يتيم ، وأخذته السيدة حليلة السعدية لأنها لم تجد رضيعاً غيره .
وعاش محمد صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سعد ، فكان خيراً وبركة على حليلة وأهلها ، حيث اخضرت أرضهم بعد الجذب والجفاف ، وجرى اللبن في ضروع الإبل .

حكاية شق الصدر

وفي بادية بني سعد وقعت حادثة غريبة ، فقد خرج محمد صلى الله عليه وسلم ذات يوم ليلعب مع أخيه من الرضاعة ابن حليلة السعدية . وفي أثناء لعبهما ، ظهر رجلان فجأة ، واتجها نحو محمد

صلى الله عليه وسلم فأمسكاه ، وأضعجه على الأرض ثم شقاً صدره ، وكان أخوه من الرضاعة يشاهد عن قرب ما يحدث له ، فأسرع نحو أمه وهو يصرخ ، ويحكي لها ما حدث .

فأسرعت حليلة السعدية وهي مذعورة إلى حيث يوجد الغلام القرشي فهو أمانة عندها ، وتخشى عليه أن يصاب بسوء ، لكنها على عكس ما تصورت ، وجدته واقفاً وحده ، قد تأثر بما حدث ، فاصفر لونه ، فضمته في حنان إلى صدرها ، وعادت به إلى البيت . فسألته حليلة : ماذا حدث لك يا محمد ؟ فأخذ يقص عليها ما حدث . لقد كان هذان الرجلان ملكين من السماء أرسلهما الله تعالى ؛ ليطهرا قلبه ويغسلاه ، حتى يتهيأ للرسالة العظيمة التي سيكلفه الله بها .

خافت حليلة على محمد ، فحملته إلى أمه في مكة ، وأخبرتها بما حدث لابنها ، فقالت لها السيدة آمنة في ثقة : أتخوفت عليه الشيطان ؟ فأجابتها حليلة : نعم . فقالت السيدة آمنة : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لابني لشأناً ؛ لقد رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور ، أضاء لي به قصور الشام ، وكان حمله يسيراً . فرجعت به حليلة إلى قومها ، حتى بلغ عمره خمس سنوات ، ثم عاد إلى أمه في مكة .

محمد ﷺ في يثرب

وذات يوم ، خرجت السيدة آمنة ومعها طفلها محمد وخادمتها أم أيمن من مكة متوجهة إلى يثرب ؛ لزيارة قبر زوجها عبد الله . وكان الجو شديد الحر ، وأثناء عودتها مرضت وماتت وهي في الطريق ، في مكان يسمى الأبواء ، فدفنت فيه . وعادت أم أيمن إلى مكة بالطفل محمد يتيماً وحيداً ، فعاش مع جده عبد المطلب ، وكان عمر محمد آنذاك ست سنوات .

محمد ﷺ مع جده

بعد وفاة السيدة آمنة عاش محمد صلى الله عليه وسلم في ظل كفالة جده عبد المطلب الذي امتلأ قلبه بحب محمد ، فكان يؤثر أن يصحبه في مجالسه العامة ، ويجلسه على فراشه بجوار الكعبة ، ولكن عبد المطلب فارق الحياة ومحمد في الثامنة من عمره .

محمد ﷺ مع عمه

وتكفل به بعد وفاة جده عمه أبو طالب ، فقام بتربيته ورعايته هو وزوجته فاطمة بنت أسد ، وأخذه مع أبنائه ، رغم أنه لم يكن أكثر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم مالا ، لكنه كان أكثرهم نبلاً وشرفاً ، فزاد عطفه على محمد صلى الله عليه وسلم حتى إنه كان لا يجلس في مجلس إلا وهو معه ، ويناديه بابنه من شدة حبه له .

رحلة الشام

خرج محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في رحلة إلى الشام مع القوافل التجارية وعمره اثنا عشر عاماً ، وتحركت القافلة ، ومضت في طريقها ؛ حتى وصلت إلى بلدة اسمها " بصرى " وأثناء سيرها ، مرت بكوخ يسكنه راهب اسمه " بُحَيْرَى " ، فلما رأى القافلة خرج إليها ، ودقق النظر في وجه محمد صلى الله عليه وسلم طويلاً ، ثم قال لأبي طالب : ما قرابة هذا الغلام منك ؟ فقال أبو طالب : هو ابني . قال بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي أن يكون هذا الغلام أبوه حياً . قال أبو طالب : هو ابن أخي . فسأله بحيرى : فما فعل أبوه ؟ قال أبو طالب : مات وأمه حبلت به ؟ فقال له بحيرى : صدقت ! فارجع به إلى بلده واحذر عليه اليهود ! فوالله لئن رأوه هنا ليقعون به

شراً ، فإنه سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع أبو طالب بالعودة إلى مكة وفي صحبته ابن أخيه محمد .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على إمام المرين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذناهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيماننا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد و جهاد - إيماننا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المرين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عوناً لكافة إخواننا وإخوانتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدى هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد

www.alsunnah.info

www.tawhed.ws

www.almaqdesse.com